مقدمة

لم أتردد في اختيار عنوان لمؤلَّف من المؤلَّفات السابقة مثل تردُّدي هذه المرَّة، ذلك أنَّ تنوُّع المادَّة وتلوُّن طبيعتها واختلاف الأزمنة التي حرِّرت فيها.. كلُّ ذلك فتح أمامي أفقًا رحيبًا من الحرية، ووضع قدَّامي جملة ثرية من العناوين جميعُها لائقٌ باعتبار غيرُ لائقٍ باعتبار آخَر، منها مثلاً: "وجدتُ الله" و"العصفور المبلَّل" و"مجانين أريد!" و"ذي قربتي"...

ثم إني لم أجد مثل الاستشارة ملاذًا ومفزعًا، ولا مثل رأي الجماعة مصدرًا وموردًا؛ فعرضتُ ما توفَّر لي من مادَّة خبرية، وما ألحقتُ بها من عناوين فنّية، وما اجتهدت فيه من تصنيف منهجيٍّ... عرضتُ ذلك على "فريق البحث" في "الأكاديميا"، ثم قرأوا ولاحظوا، وقدَّموا وأخَّروا، فأحسنوا واستحسنوا... ومع كلِّ لقاء أو حوار أو استشارة أقول:

"ليس الأهمُّ ما ينتهي إليه المؤلَّف، ولكنَّ الأهمَّ هو هذا الحراك العلميُّ الجماعيُّ المبارَك الذي يدفعنا دفعًا نحو السموق إلى مجرَّات "الجماعة العلمية" بلا خوف ولا تردُّد. ذلك أننا "إذا أصبحنا كيانًا متوحِّدًا وكُلاًّ متوافقًا، فسوف تتنزل علينا من الألطاف ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وسوف نمتلك القدرة على رفع أحمالٍ أثقلَ

من جبل قاف"[1].

وانتهى بنا المطاف إلى أن قسَّمنا الكتاب إلى أربعة أقسام، لكلِّ قسم طبيعته ونكهته ومجاله.

أمَّا **القسم الأوَّل**، فخصِّص للمقالات الفكرية-الأدبية أو إن شئت فقلْ المقالات الفكرية المكتوبة بأسلوب أدبيٍّ، ذلك أنِّي لا أدَّعي امتلاك الموهبة ولا الخبرة ولا المعرفة بفنون الأدب وتلوُّناته... فذاك مطلب عزيزٌ "دونه خرق القتاد".

و**القسمين الثاني والثالث**، عبارة عن خواطر كتبتها من شُرفة مكتبي المطلِّ على البوسفور، ونشرتُها في موقع "فيكوس" على مدار العام كلَّ ليلة جمعة طلبًا للأجر عند الله واستدرارًا لبركات الجمعة ولساعة الاستجابة فيها، ثم توجيهًا وإرشادًا للقرَّاء الأوفياء المتتبعين لها بنهم وعناية، وقد بلغ عددهم الآلاف من مختلف بلاد العالم.. ولقد اكتشفتُ من خلالها -سواءً في ذلك "سلسلة شمولية القرآن" أو "سلسلة نسمات البوسفور"- أنَّ الكثير من الناس مِن مختلف الشرائح لا يتحمَّلون المقالات العميقة الطويلة ولا الكتب الدسمة الكبيرة الحجم، فيلوذون بمثل هذا النوع من الخواطر الخفيفة المباشرة التي تحمل رسالة واضحة بأسلوبٍ ميسَّر. ولقد تؤثّر فيهم وتدفعهم إلى الفعل والحركية أكثر مما يتأتى من أيِّ باب آخر من أبواب التأليف الفكريِّ الحضاريِّ.

أمَّا القناعة الذهنية التي تتكرَّر دومًا على صيغة: "لستُ مروحة للكسالى" فهي وإن كانت صادقة في حالات لا يمكن أن تكون صادقة في

---

[1] فتح الله كولن، "نكران الذات والمدد الرباني"، مجلة حراء، العدد: ٢٤ (مايو-يونيو ٢٠١١).

جميع الحالات، ولنا في كلام الله تعالى قدوة وأسوة؛ فهو الذي صرَّف القول ونوَّع الخطاب وراعى كلَّ الملكات والمستويات، وهذا بعينه نوع من أنواع الإعجاز البياني البديع.

وجاء **القسم الرابع** من الكتاب على شاكلة فنٍّ جديد عليَّ، وهو فنُّ "القصَّة الصغيرة"، ولقد سبق أن كتبتُ رواية "بوبال" ثم رواية "ميمونة"، فوجدتُ أنَّ القصص بجميع أشكاله وأنواعه وسيلةٌ سحرية في تبليغ المعاني، وفي زرع الشوق والعشق في قلوب القرَّاء عموما والشباب بالخصوص.. ولقد جاءت هذه القصص التي استُلَّت من واقع الخدمة واستندت إلى فكر الأستاذ "فتح الله كولن" لتؤكِّد على العلاقة الحميمية بين فكر المرشد الملهم، وواقع المهاجرين من أبناء الخدمة الربانيين. وهذا وجه أساس من أوجه "نموذج الرشد" وركيزة حقيقة من ركائزه الثلاثة.

وأمَّا العنوان الذي كان محلَّ اختيار، فقد استقرَّ على صيغة "ذي قربتي"؛ وهي بعينها الصيغةُ التي عنْونتُ بها رسالة وجَّهتها للأستاذ المجدد فتح الله كولن، ثم جاء الجوابُ منه دليلَ حكمةٍ وحلمٍ، بل عنوان إمامةٍ وقيادةٍ وريادةٍ، وهي وثيقة تاريخية حُبلى بكلِّ معاني سياقها وحيثياتها، ومما جاء في الرسالة: "مرَّة أخرى، أستحيي وأنا العييُّ في مخاطبتكم وحسبي أن أقول وقد جاءكم أهل "الخدمة" بدلائهم بل وأنهُرهم وودِيانهم وبحورهم، وجئتكم أنا بقربة لعلَّها جفَّت منذ أمد... جئتكم باحثًا عن الحقيقة عاشقًا مصادرها وموارها، لأنشِد مع المنشد مخاطبًا أحبّتي في الأكاديميا، وقد قبلوني -بأمر منكم وفضل- تلميذًا في صفّهم وطالبًا مبتدئًا في صرحهم... أهمس في أذن كلِّ واحد منهم:

ذي قربتي يا أخي في الحبّ أرسِلْـها إلى الحبيب، فهل يُرضيه متَّسمي؟

وللقارئ العزيز أردِّد مقولتي: "ذي قربتي"، وأهديه هذا السفر الجديد بعنوان: "ذي قربتي"، فليقبل هديّتي بحسبان كرمه لا بحقيقة جفافها. إذ الضعف سمتي والنقص علامتي والمحاولة الدؤوب ديدني، ولا أعرف سبيلاً أرضي به خالقي وأنفع به أمَّتي، أمثلَ ولا أحسن من الاجتهاد الدائم، والصدق في كلِّ مرحلة، وعدم التوقُّف ولو لبرهة على قارعة الطريق، وهجران الالتفات إلى الوراء مهما بدا الوراء قاتمًا، بعقبان ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾(الحجر:٦٥)...

كلُّ ذلك مردُّه إلى حسن الظنّ بالله، والثقة الكاملة فيه، واعتقادِ أنَّ كلَّ شيء به ومنه وإليه... ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾(التوبة:١٢٩) ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(هود:٨٨)، سبحانك ربي، أردِّد مع كليمك الأواه ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾(طه:٨٤).

والحمد لله أولاً وآخرًا، والعاقبة للتقوى.

د. محمد باباعمي

الأكاديميا، صبيحة الأربعاء

٢٤ ذو القعدة ١٤٣٣هـ / ١٠ أكتوبر ٢٠١٢م